ملامح شعر الثورة الاسلامية

دكتـــور منـــوچـهـــر اكـبـــري
استاذ الأدب الفارسي بجامعة طهران

تمثل عودة المفردات الى دلالاتها الموضوعة، احدى ملامح أدب الثورة الاسلامية في الميدان الشعري. إذ ثمة علاقة مباشرة بين المفردات الأدبية واستخداماتها الدلالية في ظل الظروف السياسية والاجتماعية. ففي ظل الانظمة غير الديمقراطية تتقلص دائرة القابلية على التعبير والابداع الأدبي، حيث تتخذ المفردات معانٍ ومداليل غير تلك التي وضعت لها.

وليس خافياً على المفكرين والأدباء والكتّاب، أن العناصر الصانعة للآثار الأدبية ـ لاسيما الشعر ـ ترتدي خارج المعاني القاموسية، حلة الكناية والاستعارة وتؤدّي مهمتها من خلال الدلالة الرمزية. ومما لا شك فيه أن ثمة علاقة من حيث المبدأ بين مدى استخدام بعض الفنون الشعرية والبلاغية كالايهام والكناية والاستعارة والرمزية والابهام، وبين الظروف الاجتماعية السائدة لاسيما على صعيد الأدب السياسي. ذلك أنه لا يمكن تجاهل تأثير عنصري الزمان والمكان على نوع العبارات والاستشفافات والمهام التي يتسنى للتعابير الشعرية الاضطلاع بها. ومثلما تتطور المفردات اللغوية من حيث المعاني والصور عبر القرون والعصور، كذلك ينتظر من الآداب سيما الشعر في عصرنا الحاضر، أن تضطلع برسالة اكبر في توعية المجتمع.

في مرحلة ما قبل الثورة الاسلامية، وفي ظل ظروف تاريخية خاصة، استطاعت العبارات التالية أن تضطلع بدلالات سياسية بارزة: متى تشرق الشمس؟ هل سيهب النسيم العليل آخر المطاف على الغابة؟ لماذا الغابة صامتة؟ لماذا البحر هادئ؟. ألقى الليل بظلاله الثقيلة على المدينة...

فمثل هذه العبارات تكتسب مغزاها السياسي في ظل مستطلبات المرحلة والظروف التاريخية ـ السياسية السائدة. في وقت أنها تفتقر الى هذه الدلالة في ضوء دروس قواعد اللغة الفارسية واملائها ... فلو وردت هذه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

العبارات ومثيلاتها في بعض الأبيات الشعرية أو النصوص القصصية، من الممكن أن يستشف منها القارئ معانٍ سياسية.

ولهذا نهض شعر الثورة بدرء الغشاوة التي تغلّف الكلمات وجعلها شفافة ... وإذا كان الشاعر قبل الثورة يتحدث بلغة الخرافة (fable) الأسطورة على لسان الطيور والحيوانات، فمن الواضح أن لم يكن يهدف الى مجرد سرد قصص مسلية للاطفال القراء، وانما كان يتخذ من هذا النوع الادبي ذريعة للتعبير عن افكاره.

والسؤال هو: هل يجد الجيل المعاصر بعد الثورة الاسلامية وفي ظل استتباب الحرية، في النص الشعري الآتي، ذلك البعد الواسع من الكناية والابهام الذي اتسم به في ظل اوضاع عام ١٩٦٥، وهو العام الذي أنشد فيه:

حقاً، هل / يجب عبور النهر / يجب عبور النهر وان غمره الطين / هل تلمح في الأفق/ رفرفة أجنحة ذلك الزوج من الحمام / الذي صالح بخفق اجنحته / بين السهول والسحاب؟ / حقاً، هل / يتسنى الذهاب وعدم البقاء؟ / حقاً، هل / يمكن انشاد شعر في مدح الشقائق. (ص ٢٢ و٢٣، عن لسان الورق، م. سر شك).

وهل مفردات المقطوعة الشعرية التالية للشاعر «مهدي اخوان ثالث» والتي تحمل عنوان «صرخة»، لا تحمل في طياتها مغزىً رمزياً وكنائياً؟:

احترقت داري / بنار حارقة / هذه النار حارقة بجميع جوانبها / أحرقت الستائر والسجاد وحولتها الى رماد / أنطلقُ باكياً هنا وهناك / عبر ألسنة النيران ذات الدخان الكثيف / من بين ضحكاتي / وصرخة بكائي / من اعماقي المنهكة المتحرقة / اصرخ بمرارة وألم / واغوثاه وا غوثاه / أحرقت داري نار لا ترحم / لازالت هذه النار تحرق الرسوم التي رسمتها بدم القلب / على صدر الجدران والحيطان / في الليلة المفضوحة التي لا تنتهي / الويل لي، احتراق واحتراق / البراعم التي ربيتها بعناء / في فم المزهريات العميق / من أيام المرض القاسية / اعدائي على سطوح منازلهم / مسرورون وابتسامات نصرهم على الشفاه / يحدقون بي أنا المحترقة روحه / في ظل عتمة الليل / انطلق نحو كل صوب باكياً في هذا الظلم / صارخاً الغوث الغوث. (مقطوعة شعرية لاخوان ثالث (م. اميد)، الشتاء، ص ٧٦ ـ ٧٨).

وهل تخلو المقطوعة الشعرية التالية من الدلالة الرمزية؟:

لا جرح قديم / لا طفح / لا ألم من هذا النوع / انني أهوى الحدث / اهوى يقين الصباح / ولو تحطمت / فاشهد أن الليل / سيصل من الشهب. (جذر في السحاب، محمد رضا عبد الملكيان، ص ٢٥).

وهل تقتصر مفردات مثل الفأرة العمياء، غصن الصفصاف، القط، القمة والحضيض، في مقطوعة «الفأرة العمياء» للشاعر علي الموسوي الجرمارودي، على دلالاتها اللغوية فحسب؟:

لديها وكر على الغصون / أُسرة / نسميها الفئران العُمى / على أعلى اغصان الصفصاف / بالأسم والطائفة: فأرة / وبالجسم: قطة / عجباً! / كيف بلغت هذه العُمى القمة / وبقينا نحن في الحضيض رغم عيوننا المفتحة؟! (نشيد الوابل، علي الموسوي الجرمارودي، ص ٤٧ ـ ٤٨).

والنموذج الآخر الطافح بالمغزى السياسي العميق هو، «حياة الشقائق»:

ما هي حياة الشقائق؟ / راية مدماة على الكتف عند السحر / نغمة عاشقة على شفة الريح / حياة أودَعتَها على طريق الحب / في مهب الريح وليحصل ما يحصل/. (الوجود والانشاء، ص ٥٦).

وهنا نتساءل: هل لازالت المعاني المستشفة من هذه القصائد الشعرية في يومنا هذا، على نفس قوتها لدى انشادها أو نظمها؟ لاشك أن حتى الشعراء اصحاب هذه القصائد ـ سواء من هو على قيد الحياة ومن غيّبه الموت

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

ـ لايستوحون منها عين تلك الرؤى والدلالات التي كانوا يستهدفونها يومئذ... ولذلك ينبغي عدّها من نتاج سنوات الظلمة والرعب والخوف والألم.

وبعد الثورة الاسلامية عادت للمفردات الشعرية معانيها الاصيلة ونفضت عن نفسها الغبار والضباب. فالوتيرة المتسارعة غير المتوقعة للثورة الاسلامية كانت بدرجة انتزعت من الأدباء والمبدعين أية فرصة للتأمل والمكث والتفكير. ولذلك هوى الأدب ـ لاسيما الشعر ـ في فخ الشعار والروتينية. وبطبيعة الحال لم تكن هناك من حيلة سوى الانصياع لتلك الظروف. فالشعراء المناضلون والثوريون، حتى اولئك غير المحسوبين على أسرة الشعراء الاسلاميين، اما أنهم التزموا الصمت أو انبروا للتغني في اشعارهم بالمفاهيم الجديدة كالحرية والوطن والايثار والمقاومة والنصر. وحينما أخذت تتضح مواقف الثورة والامام، وادركوا أن مسار الثورة واهدافها لا يلتقي مع توجهاتهم وتطلعاتهم، وليس بامكانهم زج أنفسهم في دائرة حركة النظام الاسلامي، أقبلوا ثانية على الشعر الكنائي والرمزي الذي كان سائداً قبل الثورة الاسلامية. وبطبيعة الحال تعد آثار مرحلة الشعار قيمة جداً من الناحية التاريخية، وان لم تتصف بالجزالة من حيث الجوهر الشعري.

ومن الاغراض البارزة التي طرقها شعر طليعة الثورة: وصف الحرية وتكريم دماء شهداء طريق الحرية والمضحين من أجل الجمهورية الاسلامية. ومن بين ذلك الشعر، المقطوعة التالية للشاعر نصر الله مرداني:

انهض ايها الشهيد الحي واصنع ملحمة جديدة
وزيّن بدم الحب مأزق الدنيا الضيق
البندقية تصدح بالأذان الدامي مع اطلالة الدم
هيا أضيء خندقنا بلهب البندقية
انهض ايها الرسول الحقيقي ويا روح الانبعاث
وشاهد ثورة اللحظات في ميدان الوجود
انهض ايها النسيم الراقد في بستان الصامتين
وفتّش عن موضع استشهاد الانصار في طواف النور
خمرة التوحيد تغلي في محراب الشهادة
فاملأ بها أقداح العشاق بأمر المولى
قصة أصحاب هابيل، رسالة دم الارض
هيا اختم على رسالة الدم هذه بقلم التاريخ[1][2]

وانطلقت الشاعرة سبيدة الكاشاني، في قصيدتها «للشهداء» بالتحدث عن الظروف التاريخية والسياسية التي شهدتها ايران، وعن أيام الدم والشهادة والمقاومة والكفاح:

تحطّم سرو بستان المعرفة
فما أشد حرقة هذا الفراق
امتلئت الازقة بالحجال
واصبح الوطن دجلة من دماء الاطهار
حنّوا ريشك بالدم أيها القنبراء
فهنيئاً لك الدار ايها الجميل
أصبحت شمساً وحطمت كأس الليل
وتسطّرت في الكتاب كحرف النور
صبغتَ حلتك باللون الأحمر في درب الحب
فمرحى لهمتك يا صانع الملاحم
الابطال في هذا المجمر كالحرمل
يحترقون وهم راضون عن هذه التجارة
احرقوا خيمة العدو
واخمدوا تلك الفتنة
وقفت البندقية في مقابل البندقية
نغسلُ دمك بالدم ايها الأخ
نَم ايها الشهيد الحبيب
نم ايها السرو الاخضر الفريد
قيام قامتك في عالم الجدب
تباشير فجر لا ينتهي[3][4]

ومن ملامح أدب الثورة الاسلامية ايضاً، الاستفادة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

من أغلب القوالب الشعرية للتعبير عن الافكار والرؤى والمضامين.

ومن الطبيعي أن نشاهد انعدام التوازن والاتساق بين القوالب من حيث الكم، كما هو الحال في العهود الماضية والاساليب الادبية السابقة. فكما أن القصيدة كانت تحظى بالاهتمام في الاسلوب الخراساني، والغزل كان محط الاهتمام في الاسلوب العراقي، كذلك انتهى بعد الثورة الاسلامية الصراع المحتدم بين انصار ومعارضي «القالب الجديد»، لأن ضرورة المرحلة فرضت حقيقة «الشعر الحديث». ذلك أن اختيار القوالب يعتمد على المضامين الشعرية، وعلى اسلوب الشاعر وما يتمتع به من قابلية واستعداد. وقد انبرى بعض الشعراء لتدوين تاريخ الثورة منذ المرحلة التي سبقت الانتصار، وكانت لهم على هذا الصعيد العديد من القصائد الطويلة والمثنويات، فيما صبّ آخرون ابعاد انتصار الثورة وألوان الكفاح والمقاومة أثناء مرحلة ما بعد الثورة ومرحلة الدفاع المقدس، في قوالب شعرية جديدة، ومن هؤلاء: قيصر امير بور، حسن الحسيني، مشفق الكاشاني، نصر الله مرداني، حميد السبزواري، سبيده الكاشاني، علي معلم، علي رضا قزوه، محمد رضا عبد الملكيان، طاهرة صفا زاده، علي الموسوي الجرمارودي، قادر الطهماسبي، واحمد عزيزي.

كذلك اتسم شعر الثورة بالتوسع في استخدام القالب الغزلي للتعبير عن افكار الثورة واحداثها. وتعد هذه السمة متفرعة من الخصوصية السابقة. وقبل ذلك، وفي عصر «المشروطة» وما سبقها، أُستخدم الغزل في خدمة المفاهيم والمضامين الاجتماعية والسياسية، ولكن ليس بحجم عصر الثورة، لاسيما في مرحلة الدفاع المقدس. وكان قد واجه اعتراضاً في بداية الأمر من قبل بعض المنتقدين والذين يؤمنون بضرورة المحافظة على الاصول القديمة، غير أنهم صمتوا آخر المطاف، أو ربما دفعتهم الظروف للرضوخ لهذه التجارب الادبية. علماً ان القصائد السياسية لم تكن بمعزل عن الارضية التي كانت سائدة قبل الثورة الاسلامية. فقد نظم الشاعر المجدد اخوان ثالث (م. امید)، قصيدة «أنا في السجن هذا الخريف» قبل اندلاع الثورة الاسلامية، حيث يقول فيها:

لي في هذا السجن حال أخرى
ويبدو أن العالم له متعة، ولي متعتي الخاصة
نحن أسرى وفي صراع مع الدم والأمل
ومع ذلك فان قلبي يهفو لشيء آخر
أيها الحب انني في السجن لكوني رجلاً
فمن الخطأ الاستسلام، ولنا حظ غير هذا
ورغم أن الحياة في هذه الخربة، سجن
وأجد نفسي في مأزق كل لحظة
فلا يليق بي هذا السجن والحرمان بعد اليوم
فلو ادرك العالم الحب، لكان لي جزاء آخر
يتحرق قلبي حينما ارى الرؤوس مطأطئة حزناً
ولي حرقة وغربة أخرى لاجل كل قلب[٥][٦]

لقد فتح شعراء الثورة من خلال شعر الدفاع المقدس نافذة جديدة امام قالب الغزل. ففي مسيرة تطور الغزل الفارسي يمكن الاشارة الى خليفة الغزل الغنائي والعرفاني والسياسي ـ الاجتماعي والتعرف على نماذج منه. غير أن الغزل الحماسي ينبغي عدّه من بركات شعر الدفاع المقدس. ورغم أن مثل هذا الموضوع بحاجة الى مقال مستقل، ولكن لابد من القول أن وجود الغزل الحماسي قد قوّض اشتراطات وتحفظات ومحاذير المنتقدين والاسلوبيين. إذ أخذ الشعراء يتجاهلون بعض الحدود والضوابط، ويتلاعبون بقواعد اللعبة ان صح التعبير. وكان لابد من زجّ الجرأة الأدبية في ميدان التجربة الحديثة على الأقل. إذ أن القدامى من اصحاب الرأي الأدبي اعتقدوا بوجود علاقة محددة وواضحة وغير قابلة للتغيير الى حد ما بين المفردات والعناصر والمضامين ذات القوالب الشعرية. وكانوا يؤكدون على

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

هيمنة تلك العلاقة وثباتها بحيث يعتبرون أية محاولة للانفلات منها وأي تحول من الممكن أن يطرأ عليها، جريمة لا تغتفر.

هناك فرق بين أن نقول بوجود تفاوت بين الروح العامة واللغة الشعرية وحتى القاموسية لدى كل من فردوسي ونظامي، وبين أن نقول أن على كل من يريد صناعة الشعر الحماسي لابد من صبّه في قالب المثنوي، معتبرين المثنوي القالب الحماسي الملحمي الوحيد.

طبعاً ليس بوسع أحد أن ينكر اقبال بعض الشعراء على القالب الرباعي وزجّه في الاغراض الحماسية خلال الحقب التاريخية الماضية، لاسيما خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وذلك بايحاء من الظروف التاريخية الخاصة، كما هو الحال عند العطار النيشابوري. بل اختار سعيد ابو الخير قبل ذلك، الشعر الحماسي لوصف طريق العشق والسلوك وما يكتنف هذا الطريق من أخطار، وما يمكن أن يلقى السالك من ويلات الوصال الى منزل الفناء وحالات القبض والبسط العرفانية، رغم أن أبا الخير وكذلك العطار، هما من شعراء العرفان لا الحماسة.

يقول العطار:

إذا كنت رجل طريقة فلابد من اجتياز الدم
لابد من الخطو حتى مع الاعياء والوهن
انطلق ولا تسأل
فالطريقة ستقول لك كيف ستمضي

ويقول ابو سعيد ابو الخير:

حينما كنتُ أسداً كان صيدي نمراً
وضيماامسيت سيداً كنت أعزف من أجلك
وحينما احتضنت عشقك
طردني الثعلب الاعرج من الأجمة[٧]

ويقول ايضاً:

كن في الميدان مع الدرع والسهم
لا تتمرد على نفسك عبثاً، بل تمرد علينا
ليكن الزمان ماءً أو ناراً
المهم أن تحيا مسروراً وسعيداً[٨]

ومن الاشعار الحماسية التي راجت في العهود السابقة، يقول ابو شكور البلخي:

اسع لكي تندلع الحرب من جديد
وان كنت تعلم بأنك تحطم عمود الخيمة
إذا لم تكن لديك حيلة سوى الحرب
فلا تخش اراقة الدماء[٩]

ويقول حنظلة البادغيسي:

إذا كنت عظيماً فواجه فم الاسد
خاطر وألقِ بنفسك في جوف فم الأسد
فأما العظمة والعزة والنعمة والجاه
او تستقبل الموت كالرجال[١٠]

وما ينبغي التنويه اليه بشأن خصوصية الغزل الحماسي والروح المهيمنة عليه، هو أن شعراء ما بعد الثورة وان اختاروا قالب الغزل إلّا أنهم طبعوا الصور والوصف والخيال بنوع من الروح العاطفية. بتعبير آخر، أنهم قدّموا مزيجاً من رهافة الغزل العرفاني والروح الحماسية والمضامين البطولية ومجموعة من القيم الخلقية النبيلة المنبثقة من المعارف والثقافة الاسلامية ـ الانسانية، عاملين بذلك على تنقية الغزل الحماسي من العنف والبغض والضغينة.

ورغم أن من ضروريات الحرب والقتال، الدعوة الى قتل افراد العدو والحاق الدمار بهم وأسرهم، إلّا أن شعر الحرب في قالبه الغزلي كان بشكل عام من نوع شعر المقاومة، وليس شعراً هجومياً. وربما كان ذلك نابعاً من الروح الايرانية العامة التي حينما التحمت بروح الاسلام اصبحت مرهفة وانسانية وعارفة وعقلانية الى حد كبير. ويمكن ملاحظة ظلال العطف والحنو هذه لدى «فردوسي» في الشاهنامه عند وصفه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

الكثير من المشاهد، وحديثه عن الشخصيات والابطال. ولابد من التذكير هنا ايضاً بأن الشعر الغزلي الحماسي غالباً ما يمتزج بشيء من عناصر الطبيعة ونوع من النزوع نحوها. ومن المفيد أن نقدم بعض النماذج في هذا المجال.

النموذج الاول عبارة عن مقطوعة للشاعر حسن الحسيني:

«يا من أنت كالمصلوبين»

يا من في هدوء احمرارك مفهوم الاضطراب
يجري دمك في اعماق الملحمة دائماً
تزدهر في خريف الخندق على الدوام
نافورة دمك كالشقائق الربيعية
ومن جزر ومدّ سيف ايثارك اللامحدود
نما جرح عميق في هامة الأشرار
وهربتْ من قتالك المستمر الضباع
وفرّت من نار بندقيتك الخفافيش
هدير بندقيتك في قلب الصحراء
تفسير لآيات الجهاد المتلاحقة
يا من أنت كالمصلوبين في قتال المغول
لقد أحييت نهج الصلب بالفداء
رسم قوسُ قزح دمك خطاً أحمر
بدءً بليل الاسترخاء وانتهاءً بفجر الفداء
أنت ثمل براح «ألستُ» وهكذا هي عبادة الله
نحن ووهم النشوة في منتهى السُّكر[١١]

والغزل الآخر لزكريا أخلاقي في وصف الأبطال الذين حلّقوا الى ذُرى الشهامة والشهادة بتحطيم اغلال الخوف:

أيها العشاق الذين حطموا أبّهة الليل
يا طليعة اشراقة الصباح المبارك
تراقب الملائكة من العلياء
ملحمة الحماسة التي صنعتموها
أبطال هذه المجابهة اصحاب الموكب الجليل
شدّوا الى سيوفهم عالماً من الملائكة
عيونهم تفسير لآيات الابتهاج
وهم اكسير حبور هؤلاء الناس المتعبين
اسمهم الطاهر منقوش على فصّ السَحر
ويتحركون كالشمس في ثنايا الآفاق
ينطلقون في طريق نيل الجنان
بعد أن مزقوا جذور الشر الخبيثة
حلّقت في سماء الوجد
هذه البلابل المتحررة من الاقفاص
على كل لبنة في شرفات القدس المفرّجة
جلس القدسيون بانتظار رؤيتهم

ومن الشعر الحماسي الآخر المصاغ في قالب الغزل، مقطوعة تُدعى «خندق نصر من الله» إذ تتميز بكافة ملامح الشعر الحماسي الاصيل ذي الطابع الرجزي. وقد انبرى الشاعر حسن الحسيني في هذا الغزل لوصف ضعف العدو، مع الاشارة الى ما تحظى به جبهات القتال من عنايات الامام المهدي المنتظر (عج)، فضلاً عن وجود القيادة الفذة للامام الخميني التي تعد رصيد الفتح والظفر:

«خندق نصر من الله»

يا من أضاءت الليل بارقة ايمانكم
ازحفوا حتى فجر النصر، يدُ الله معكم
تحسدكم الطيور المهاجرة ذات الصدر الاحمر
وقد أخذ الشفق لونه من لون جناحكم وريشكم
قلوبكم نبع متدفق للايمان واليقين
وأجسادكم نهر الشرف الهادر
يا حماة الاسلام، حين القتال
تحلق مخلوقات العرش فوق رؤوسكم
ماذا بامكانه أن يفعل حين القتال
اذا لم يهرب، هذا العدو الخبيث

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

ليشـــرق قـلب المـهدي بـهدايـاكـم
وكذلك قلب رسولكم بهذا القتال الالهـي
فـــلا تأثـــير لفـــتنة الخـناس فـيكم
مـــا دام قـــائدكم آيـة الحـق روح الله
هـدير تكـبيركم بشـارة الفـتح القـريب
مادامت قلعة «نصر من الله» خندقكم(١٢)

وتعد مقطوعة «مركوب بلا راكب» من أسطع الغزل وأكثره أصالة وجزالة. وقد مـزج بـين الثـورة والدفـاع المقدس بشكل بارع. ومن أهم مميزاتها: نوع التـراكـيب والمفردات المسـتخدمة، والدقّـة فـي انـتخاب الكلمات، والبراعة في خلق مزيج من العاطفة والغضب والمقاومة والخيال الشعري، واحاطة الشاعر الفذة بقدرة الكلمات وقابليتها على الاستيعاب، فـضلاً عـن اللـغة الحـماسية المهيمنة على الشعر، وصراحة الشاعر وتجنبه للشـعار ما استطاع. وتـلمّح بـعض الكلمات وبشكـل جـميل الى مـلحمة كـربلاء الحسـينية، والمـقاومة الاسـتشهادية لانصار الامام علي (ع) والتي وسعّت من دائرة مخاطبي هذا الشعر. ومن هذه الكلمات: معبر الوقاحة، جنة العدل، فـارس الهـمة، خـمر الايـثار، النـفس المـتحرقة، دنـان الشهادة، وغيرها. ويتبوئ صـاحب هـذا الأثـر الأدبـي، ويدعى قـادر طـهماسبي (فـريد)، مكـانة مـرموقة بـين شعراء الثورة في غزله العرفاني الحماسي.

«مركوب بلا راكب»

اقـرأ المـلحمة المنبثقة مـن هـدوء القلب
التـي تـردد شـعار صـفيري المـحترق
يـــجلس صـدقي عـلى سـرير الكـلام
وتعود صراحتي الى الكلام دون غـموض
فقد جـعلت حـمى الحـمية احـمرار وجـهي
بـنحو عـاد فـيه صـبر غـضبي عـذرياً
الى مـــتى تـجلس فـي مـعبر الوقـاحة
بـانتظار عـودة العـار الى هـذه الريـاض؟
الى مـتى تسـعى عـبثاً فـي جـنة العـدل
بـانتظار عـودة الامـور الى مـراد الظـالم؟
قســـماً بـــالدم، لو عـــادت الأيـــام
لأداروا الطـــواحـين بـدمائنا ودمـائكم
لو انـهمرت الحـراب عـلى عـمود قـاماتنا
فـلن يـعود الأمـر الى اليـمين ولا اليسـار
لن يـــرجـع الكـفر لدار الشـهداء هـذه
إلّا اذا غـــاب الاخـــلاص مـــن أعـمالنا
لن يرجع الجفاء الذي خرج من هذه الديار
إلّا اذا خـرج المـدار عـن قـبلة الوحـدة
اقـــــرأ المـــلحمة فـــفارس هـــمتنا
قـــــرر العـــــودة الى الأصـــــل
هـــات المـــركوب بـلا سـرج ولا درع
فـليس رجـلاً مـن يـتراجع عـن القـتال
لن نـرجـع عـن هـذا الدفـاع بـلا فـتح
إلّا اذا عـــــاد المـــركوب بـــلا راكب
أرِق خـــمرة الايـــثار، فـــليس عـــاقلاً
مـن عـاد مـن ليـلة الراح هـذه صـاحياً
أمـــلي المـنبثق، مـتى يـعود يـا الهـي
ثـــــملاً مـــــن دنـــان الشـــهادة؟
اني أحترق في هذا الليل، فلو تـهادى فـي
حـــريم قـــلبي نـــفَسٌ، لعـاد مـحترقاً
«فـريدُ» سـيأتي اليك، يـا غـاية الاحـمرار
يخشى أن يعود خائباً من هذا السفر(١٣)

ومن ملامح شعر الثورة الاسلامية الاخرى، وجـود نوع مـن النـزوع الى الاسـلوب الهـندي. فـاذا كـان نـوع المضامين الشعرية يمثل أحد الاخـتلافات القـائمة بـين الاسـلوب العـراقـي والهـندي، فـهذا يـعني أن الاسـلوب العراقي يتمتع برصيد عرفاني كبير، فضلاً عن مراعـاة النزعة الصورية فيه ضمن اطار الاعتدال. وقـد نـلاحظ شيئاً من دقة الخيال في الاسلوب الهندي حتى في آثار بعض الشعراء الذين نظموا في الاسلوب العـراقـي مـثل

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

حافظ ونظامي وخاقاني. ويدور الشعر في الاسلوب العراقي حول محور التعادل نظراً للانسجام بين اللفظ والمعنى.

وينزع بعض شعراء الثورة الاسلامية نحو الاسلوب الهندي، لاسيما في قوالب الغزل والشعر الحديث. ويعد الشاعر احمد عزيزي النموذج البارز من حيث الدّقة الخيالية والتصويرية والتركيبية. وهو ذو نزعة هندية سواء من حيث المفردات الاساسية واستخدام العناصر المتداولة في لغة الحوار، أو من حيث تحطيم القيود في اختيار المفردات واستحضارها من خلال اكتشاف المعاني والاستيحاءات الجديدة، واغناء محتوى رسالته الشعرية.

حينما تقرأ شعره تشعر باللذة، وتنطبع معانيه ومفاهيمه في الذهن. فلذة التراكيب الجديدة، والالتحام المدهش بين مختلف العناصر والفصائل الشعرية، يقودان القارئ الى الالتذاذ التصويري والخيالي. غير أن ثمة تعقيداً في كثير من الحالات. فالتراكم في الالفاظ يأخذ لديه اتجاهاً تصاعدياً بحيث يبعث حل تعقيد بعض الأبيات على السأم شيئاً فشيئاً. ففي ذات الوقت الذي تعمل السيولة الذهنية لدى الشاعر على اضعاف امكان التجربة الشعرية، إلّا أنها تعمل من جانب آخر على تعزيز اللغة في نطاق التركيب والصياغة والتعبير.

وتتجلى فنية هذا النمط من الشعراء في دعم وترسيخ التعابير الشعرية. ولا يُعد مبدأ التجربة الشعرية معياراً مهماً في حقل الاسلوب الهندي، انما المهم فيه هو الترشح والنضج الشعريين. ولو اعتبرنا، على غرار النقاد والاسلوبين المعاصرين، مفردة «مرآة» احدى المفردات الاصلية في الاسلوب الهندي - كما هو الحال في اطلاقهم لقب «شاعر المرايا» على الشاعر بيدل - فبالامكان الادعاء بأن عزيزي قد أغنى في بعض المجالات الدائرة التركيبية اللغوية بمفردة «مرآة» بما يفوق كثيراً شعراء الاسلوب الهندي.

ومما يمتاز به الشاعر عزيزي، أنه انبرى لخلق نوع من الشعر الشطحي أو الشطح الشعري، كما هو الحال لدى عدد كبير من كبار العرفاء، حيث يُشم من شعرهم ومفرداتهم - لاسيما تلك التي تتسم بطابع العشق والصادرة اثناء السماع الصوفي - رائحة الشطح، كما هو الحال عند بايزيد والحلاج وأبي سعيد أبي الخير.

ورغم أن الشاعر احمد عزيزي لا يمكن مقارنته بهؤلاء العرفاء من حيث العمق العرفاني، غير أنه من الصعب تجاهل قابليته المذهلة في المزج بين العناصر والفصائل والمفردات الشعرية، لاسيما تلك التي صاغها اعتماداً على مفردة «مرآة»، ومنها: زهرة المرآة، قراءة المرآة، حرارة المرايا، المرآة المفردة، سوق المرآة الأسود، المرآة المتعبة، مرتدى المرآة، حامل المرآة، ذو المرآة، محل المرايا، مليء بالمرايا، محرق المرايا، مرايا التعرف، وهم المرآة، مرآة العلماء، مرآة اهل الجمال، ليلة المرآة المتحركة، مرآة اللون، اكثر المرايا مخاضاً، قنّب المرآة، ومئات النماذج الاخرى[١٤].

ومن تراكيبه الأخرى:

بائع الندى، نظرة كالندى، دوبيتات حواجبهم، قدحا قُبلة، عابد الندى، جوف النسرين، عبادة الحيرة، محلة الباطن، معراج الندى، صحراء الأه، لهجة الندى، شارب الحيرة، عيد التخيل، شطحات الندى، تقويم البلبل، خفير التجلي، عناد اللبلاب، يأس العزلة، تقويم الجمال، محترفو العبادة، ثمرة الالفاظ الفجة، سمسار كسب المنكرات، شراب الجسم، صاحب الخيال الدموي، اصحاب الضفائر، المطرودون عن الحواجب، ارض اليوم، سفليس التكلم، شبح المعارف، برج الأهداب، درس قراءة الشبح، العثور على الظمأ، سم السكّر، محلة النداء، قُبرّى، شارب اليقين، زوار النشأة، مدرسة الفزع، زوبعة الكائنات، الصامت المتأثر بمريم[١٥]. اضافة الى آلاف التراكيب البديعة الأخرى.

وتتمثل اللمحة الاخرى من ملامح القالب الغزلي في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

شعر الثورة، في أن الشعراء اقبلوا عليه لاغراض المراثي والتعبير عن الحب والاخلاص حيال الشخصيات الدينية ـ السياسية، سيما الأئمة المعصومين (ع) والامام الخميني والشهداء. ولم يكن مثل هذا الاقبال ذا خلفية قديمة. ونكتفي هنا بذكر بعض النماذج:

للشاعر قادر طهماسبي المتخلص بـ «فريد»، شعر في مدح الامام صاحب الزمان المهدي الموعود (عج) حمل عنوان «الدن المغلق»، يحظى بالاهمية من حيث طابعه الحماسي، فضلاً عن ايحائه بثقافة الاعتراض والانتظار الايجابي، وهو في الواقع لسان حال منتظري ظهور هذا المصلح الكبير بلغة اللوعة والشعر:

«الدن المغلق»

الصنم الذي لازال سرّ جماله مغلق
عقد العزم على سرقة قلوب السودائيين
عبير الحب يعبق من يلدا*[١٦] الطرة
ومغلوف باللطف بطول الغمزة
القلب الذي سلك نحو تلك الجنّة المجسّدة
أغلق باب المشاهدة عن أي منظر آخر
مرحى لتموج النور الذي أنجب الجوهر
بعيداً عن غبار الصدف بين موج الخطر
أقبل فمقلة عيون العشاق في كل ليلة
تعقد العزم على اراقة مسلسل الدموع
عيون المنتظرين تتطلع الى زيارة جمالك
وقد صنعت جسراً لرؤيتك من زهور الشقائق
حطمنا ألف سدّ من الضلال
وقوامنا قائم بظهورك ايها المنتظر
لا تصرف وجهك عن دمعي المتململ آناء الليل
فالآه الحرى قد عقدت ميثاقاً مع الأثر
أيدينا وان لم تبلغ الدنان الأحد عشر
فناول قدحاً لأنّ دنّاً لازال مغلقاً
الشهداء الشاهدون هم الممهدون للظهور
وان أحرقت هجرتهم الأكباد
الكرامة التي تتفجر من دم الشهيد
خلّفت ورائها ألف يد للدعاء
قسماً بالأوج، سأكون تحليقة حمراء
وان كنتُ مكبّلاً خلال ذلك
هبَّ على روحي نسيم لقائك
فعزفت أذني المنتظرة عن سماع كل خبر
اقرأ حديث البلوغ في هذه الرسالة المدماة
فعين الخصم الذي رافقني الطريق وأذنه مغلقتان
يا حبذا لو خرج المنتظرون الى البيداء
فقد انقضى العمر ولازال روض وصالك مغلقاً[١٧]

ثمة غزل آخر للشاعر نصر الله مرداني، يحمل عنوان «فرات الدمع»، انبرى الشاعر فيه وبلسان الملحمة، لوصف شهداء الدفاع المقدس الذين كانوا متلاحمين مع ثقافة كربلاء وثورة عاشوراء:

«فرات الدمع»

اقرأ معنا ملحمة كربلاء الدامية
فالارض بأسرها ضمّت صوتها لصوتنا
قطع الرأس يهمس في ميدان العشق
بحديث دم شهداء نينوى
حملت الملائكة معنا ثانية الى محل اللوعة الفردوسي
جثمان مائة زهرة شقائق ممزقة
يتفجر فرات الدمع من عيون الأرض
حزناً معنا على زهور كربلاء
ابحثوا عنا في سهول الشقائق
فالصبا يلون معنا العشب باللون الأحمر
الشمس تفتخر بتقبيل أقدامنا
والانبياء يترنمون معنا باسم العشق
نقتحم امواج الخطر المتلاطمة ظافرين
فمعنا معجزة موسى وعصاه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

ألسنة نيران النمروديين تنثر الورود
في يوم الواقعة اذا كان الله معنا
سننتصر، حتى لو أمسى العالم كله عدواً
في الميدان الذي يبرق فيه سيف المرتضى
لأجل سلامة زعيم العشّاق
يد الغيب مرفوعة معنا في الدعاء[١٨]

وهناك غزل آخر للشاعر حسن الحسيني، عنوانه «غزل الوجوه الشقائقية»، في وصف الملحمة التي صنعها الشهداء، الرمز المجسّد للآية المباركة ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياءٌ عند ربهم يرزقون﴾:

«غزل الوجوه الشقائقية»

هؤلاء الذين وضعوا حناجرهم الظامئة على الخنجر
شربوا ماء الحياة من نصل السيف
لأجل أن ينضج في ربيع هطول الدم
النخلُ الذي غرسوه وسلّموه للانصار
الامانة التي لم تطق الافلاك حملها
حملوها على اكتاف الروح في تلك الطريق
فهذا العدد الذي لا يحصى من الوجوه الشقائقية
يعدّ الثواني للالحاق بوصال المحبوب
الأغصان وان حطمها الاعصار
واللهب وان انطفأت في الظاهر
فهم على مائدة العشق الى الابد
احياء الارض هؤلاء، فلا تنعتوهم بالموت

وللشاعر قيصر أمين بور مقطوعة غزلية أنشدها في مدح الامام الخميني (رض)، بلغة جذابة ساحرة، ففي ذات الوقت الذي امتازت تعابيره الموجزة بالاتساق والاتزان، عبّرت ايضاً عن الالتحام الشعري الصادق الذي يضفي لونه على الغزل عموماً:

«خلاصة المحاسن»

بَسمتُك خلاصة المحاسن
ابتسم قليلاً، فبسمة الزهرة جميلة!
جبهتك تنفّس الصباح
صباح نهاية ليلة طويلة
كل لحظة في عينك مزدحمة
كازدحام صحن الحرم بالحمائم
قوس قزح العشق الالهي
بادٍ من وراء زجاجة قلبك
أنت امتداد الكوثر الهادر
ونبعك سورة «أعطينا»
صرختك تلاطم الاعصار
وسكونك تلاوة البحر
تحدّث الينا بلا حجاب
يا من ارتفاعك بعيد عنا[١٩]

وتعد المقطوعة الشعرية المعنونة «الغربة»، التي تتطرق الى وصف غربة الشهداء المحرقة، احدى اكثر المراثي عاطفية، إذ انبرى فيها الشاعر المبدع «برويز بيجي حبيب آبادي»، الى رسم ملامح المظلومية، وتصوير ميادين الملحمة والحرب والدم، وما أبداه الشهداء من شجاعة ونبل، في ذات الوقت الذي اضفى على لغته الشعرية طابع الحزن والأسى بحيث جعلها منسجمة تماماً مع العنوان:

«الغربة»

كم هم غرباء، الأنصار حينما خرجوا من هذه الديار
لقد ذابت شمعتنا واحترقت فراشتنا
تحطمت جرّتنا واحترقت قلوبنا
وراح يصرخُ محتسو ثمالات الحانة
حيثما نظرتُ وآنا شئتُ
رأيتُ الرماد والدم والخرائب
رأس ساقط هُنا، وظفيرة مدماة هناك
وليس من يد تمشط الشعر
مادام الرأس على البدن، اللباس كفن
وصرخات مَن هم كأبي ذر سدّت سبيل الاجنبي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

أين هي بسمة الفرح، واين النشوة والحماس؟
انكفأت الجرّة وأُريق ما في الكأس
احترق البيدر، فالويل لي
ورماد الدار يدلّ على الدار
يا ويلتاه! أصحابي أزهار الربيع
خرجوا من هذه الدار خروج الغربة[٢٠]

وهناك مقطوعة أخرى في منتهى الروعة تفيض بالودّ والسحر، نظمتها الشاعرة فاطمة راكعي في الامام الخميني (ره)، تحمل عنوان «زهرة الشمس»:

«زهرة الشمس»

مهداة للامام الخميني

كـــالأمل، كـــالتصور، كـــالحلم
كـــالسؤال الذي بـــلا جـــواب
نـــظرتَهُ كـــنهر نـــور مـــتدفق
وزهـــرةُ وجـــهه كـــزهرة الشـــمس
كـروح النـار الغـاضبة، كطبع الحب المتمرد
كـــقلب الثـــورة النـــابض
اســـتلبَ وعـــيَ رؤوس العـــاشقين
فـــهو بـــيتُ القـصيد فـي العـزل الأصـيل
ما أروع أن تُسمع في تلك الشفة ينبوع السخاء
تـلك التـرنيمة الشـبيهة بـايقاع خـرير المـاء
انـــه حـــقيقة، لكـــنه بـــزعم أمـــثالي
كـــالأمل، كـــالتصور، كـــالحلم[٢١]

وللشاعر علي رضا قزوة شعر يحمل عنوان «غزل الصبر» أنشده في فراق الامام الخميني (قدس سره)، الذي أحرق القلوب:

«غزل الصبر»

رغـــم أنـــنا مســـقيّون بـــبحر الصـــبر
لكـــننا احـــترقنا فـــغرقنا فـــي الخـــجل
اذا مـــا جـــلسنا تـــحت ظـــلال الراحـــة اليـــوم
فاننا مدينون لاستقامة اصحاب القامات الخضر
فـــاذا كـــنا اكـــبر مـــن اللانـــهاية اليـــوم
فـــلأن هـــذه الايـــدي اســـتمرار ليـد وفـائه
مَـن نـحن مـن غـيرك؟ لا ادري ايـها العـزيز
لســـنا شـــيئاً، نـــحن مـــمتلئون بـــالوضاعة
لستَ وحدك الذي رأيت الشر من وعـاظ المدينة
فـــنحن أيـــضاً مـــن شـــهداء التـــهمة[٢٢]

ونختم هذه المقاطع الغزلية المختارة، بمقطوعة «التكرار» للشاعر قادر طهماسبي، ومقطوعة «ميدان الظمأ» لنصر الله مرداني، وهما مقطوعتان تكمن في كل واحدة منهما خصوصية لغوية ونوادر غامضة. فمقطوعة «التكرار» تتسيم بالسلاسة والجذابية والاتساق في ايقاع الكلام عمودياً وافقياً بشكل دقيق. اما مقطوعة «ميدان الظمأ»، فقد غيرّت نوع الرؤية حيال الملحمة الحسينية، اي أنها غيّرت طبيعة النظرة العامة المتداولة الممزوجة بالحزن اليائس، وجعلت من اللغة الملحمية اللغة الأم. فالشاعر يرى أن الانكسار مفردة غير منسجمة، وحلّة غير مناسبة لقامة الكربلائيين وصنّاع ملحمة عاشوراء. فاذا كانت القلوب التي اعتصرتها المأساة، تقطر حزناً من قبل على أبي الفضل العباس لأنه لم يذق الماء، فانها في هذا الشعر تتألم لأجل النهر لأنه لم يكن أهلاً كي يشرب من مائه قائد جند الحسين في كربلاء.

وتتضمن المقطوعتان المنظومتان في مأساة آل الرسول وصحبهم، رموزاً شعرية تشير الى ظلامة الزهراء والامام الحسين وأنصاره. كما انهما ـ لاسيما الاولى ـ يمتازان بايقاع خاص وموسيقى شعرية ملفتة. وتحض النغمة الشعرية المتساءلة التي يطرحها الشاعر في «التكرار» القارئ على الطلب بالحاح لانهاء الحزن المؤلم المخيم على المقطوعة. فالشاعر يتحدث بعبرة ثقيلة غير أنها تأبى الانفجار ولو به مقدار ضئيل، كي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

يسكن ألم الشاعر وألم القراء:

«التكرار»

أيـــها الدمـــع، يـــا كـــوكب البـــحر
لمـــاذا لا تأتـــي الى عـــيني هـذه الـليلة؟
الام أسأل المـــــرايـــــا عـــــنك؟
يـــــا بـــــؤرة تـــمركز الجـــمال
لن يـــرافـــق عـــيني البكـــاء ثـانية
إلّا بـــــالاسلوب الزهـــــرائـــــي
اللون الذي يستولي بالخلسة على القلب
مـــتى كـــان فـــي حـــنّاء الصـــبر؟
لا تـــــنفجر ولو قـــليلاً، وا غـــوثاه
هـــذه العـــبرة القـــاسية الشـــائكة
لا تكـــــتم ألمـــي عـــن الصـــديق
ايـــها البكـــاء يـــا مـعرض الافـتضاح
مـــن مـــات فـــي نـــفسي، ربّـــاه
حـــتى لم تـــعد لأنـــيني جـــاذبية؟
حتى متى أبحث عـنك فـي الـليل والحـر
أيـها العشـق الالهـي الذي لا يـغرب؟
يـــا اتـــفاق الرؤيـــة وخـــروج الروح
أنت لحـــــظة عـــــظيمة جـــميلة
اشـمل هـذا الضـعيف المـنهك بـعطفك
مـــــولاي! بـــــحرمة الولايـــــة
اســتيقظ «فـــريد»! انـــها شـــيطان
هـــذه الاحـــلام فـــي خـلوة الوحـدة[٢٣]

«ميدان الظمأ»

في رثاء سيد الشهداء الامام الحسين (ع)

يصعب وصف لوعة كل لحظة مرّت
حزناً عليك يا أتقى من النقاء
ماذا رأت عين التاريخ في تلك الواقعة المرّة
بحيث مرّ الزمان بمعبر التراب باكياً؟
كان رأس الشمس على ذلك الرمح المدمى يقول
ماذا جرى على ذلك الجسم المقطعة أوصاله مائة قطعة؟
ذلك الذي سما على قمة الادراك بقدم القلب
شاهد مظهر روح الله في أفق دماك
لم ينفذ الموتُ الى حريم حرمك قط
ويهرب فوراً كلما شاهد علامةً لك
ارتوى «الحُرّ» المتحرر من ينبوع حنانك
فطَهُرَ في ميدان الظمأ ومضى طاهراً
الماءُ خَجِلٌ من ايثار حامل لوائك
اذ لماذا مرّ به ظمآن دون اكتراث
كان هناك مائةُ فراتٍ ظامئ لشفتيك
بينما مرّ هذا النهر بك ظامئاً قلقاً
اذا كان ركّاب السراب قد قطعوا الماء عنك
فالسهل صار بحراً وبلغ الماءُ الأفلاك
الكلام عن قصة حبك، قد فاق «لولاك»
في الحديث الذي هبطت به الملائكة من السماء[٢٤]

كذلك امتاز شعر الثورة بالاستخدام الواسع لقالبي الرباعي والدوبيت، في مجالات المقاومة والحرب لاسيما في رثاء الشهداء، وقد نجم عن ذلك خلق الآثار المعروفة «الاشعار العاشورية». ولو قدّر لنا الاطلاع على نماذج من الرباعيات العاشورية لمرحلة ما قبل الثورة، لما رأينا فيها الجمال والمضمون اللذين نشاهدهما في شعر ما بعد الثورة. اذ وجد معظم الشعراء حالة في الشبه بين مجاهدي صدر الاسلام وشهداء ومقاتلي الثورة الاسلامية والحرب المفروضة، من حيث الاستشهاد والمظلومية. وقد أدى هذا الشبه الى خلق آثار خالدة تتسيم بالثراء والجمال والابداع.

ومن هذه النماذج المقطوعات التالية للشاعر قيصر امين بور:

«الوداع»

في نيته الوداع وهجر الحبيب
يبدو أنه يريد فعل أمر عجيب

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

وضـع روحـه عـلى كـتفه كـحمل ثـقيل
لا يقرّ له قرار لأنه على موعد مع الموت[٢٥]

«سؤال»

احـتساء النـور النـقي أمـر غـريب
والاجابة على هذا السؤال عمل عـجيب
أنت قـبّلتَ وجـنة الشـهيد
وتـقبيل الشـمس شـيء غـريب[٢٦]

«حضور الله»

حـينما حـملوك الى حـيّنا
كأنـما حـملوا حـضور الله
ذهبتَ بهودج من اخضراء السـخاء
وعـادوا بك بـهودج مـن الاحـمرار

وفى النماذج الشعرية الثلاثة التالية لعلي رضا قزوة، عبّر الشاعر فيها عـن حـرقة القـلب لدى وداع الشـهداء والامام الخميني (رض):

«تشييع الجثمان»

كـانت وجـناتنا نـدية بـندى الدمـع
كـان تشـييع جـثمان زهـرة مـنفرطة
حـينما كـانت تـعلو فـوق مـنبر الأيـدي
كانت هناك ثورة في صحن مسجد القلب[٢٧]

«حرمة الشقائق»

لا مـجال للـتملق فـي الحب
فـلابد مـن الوقـوف والتـضحية
اخـجلوا مـن دم الشـهيد، فـهل
يمكن التلاعب بحرمة الشـقائق؟![٢٨]

«الجار»

أحـضان السـحر ظـمئة للـقائكم
والقـمر خـجل مـن نـور وجـوهكم
والشمس التي تستقر في كبد السـماء
جـارةٌ دارهـا لصـيقة بـداركـم[٢٩]

ولقـيصر امـين بـور المـقطوعة التـالية فـي الامـام المهدي الموعود (عج):

«أنت تأتي»

أنت هـدوء وعـاصفة وجـمال
أنت تأتـي لتـبدد القـبح
أنت قـمر ولكـنك لن تـتلاشى
انت شمس ولكن لن تـغرب[٣٠]

وللشاعر نفسه الرباعي التالي أيضاً:

«حذار»

حـذارِ التـخلي عـن أنـفسنا
وحـذار تـرك امـامنا وحـيداً
نبتَت في دم كل شهيد شقيقة
حذار أن تدوسها الاقـدام[٣١]

ونـختار مـن القـالب الدوبـيتي، الدوبـيتين التـاليين للشاعر علي رضا قزوه:

«الشهداء»

ما أسعد اولئك الذين يعرفون المـحبوب
ويـعرفون طـريق الحب والايـمان
طـالما تـحدثنا وتـحدثوا عـن الشـهداء
ولا يـعرف الشـهداء إلّا الشـهداء[٣٢]

«الذهاب»

هناك من يعرف انشودة الرحـيل
فـي بـدايـة كـل حـارة وزقـاق
وقـد ذهب جـميع احـبابي، يـبدو
أنـه يـعرف مـن اجـل ذهـابي[٣٣]

كما أتسـم شـعر الثـورة الاسـلامية بـتحول حـركة الاسـاطير الشـعرية ايـضاً. اذ بـذلت مـحاولات لتـغيير الصبغة الايرانية الى صبغة اسلامية. وفي هـذا الصـدد

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

يعد شعر الدفاع المقدس عاملاً مؤثراً وفاعلاً، نظراً للطابع العقائدي الذي طبعت به هذه الحرب، حيث اوجد لدى الشعراء نزوعاً نحو حروب صدر الاسلام في انتخاب اساطير ورموز وأمثلة المقاومة والشهادة والشجاعة والايثار والحرية وصنع الملاحم. وقد اختيرت للفرق والألوية والافواج والمقرات والثكنات والقواعد العسكرية والحربية أسماء منبثقة من الثقافة الاسلامية تمتاز بقابليتها على خلق البواعث والدوافع لدى المقاتلين مثل: مقرات مقاومة المقداد، أبي ذر، سلمان، فرقة محمد رسول الله (ص)، مقر خاتم الانبياء، مقر حمزة سيد الشهداء، لواء الامام علي (ع)، لواء مالك الأشتر، فوج عمار، فرقة ثار الله، فرقة القدس، فرقة ومعسكر الامام الحسين (ع)، وقاعدة نوح البحرية... الخ.

ولا تعني هذه الرؤية والاقبال وتحديث الرموز والمُثُل من قبل الشعراء المتدينين، التخلص أو تجاهل الرموز والاساطير الملحمية الايرانية القديمة. وللتعرف على ابعاد الموضوع اكثر، نورد النماذج التالية من شعر الدفاع المقدس التي تحمل طابع الاشتراك في الاسطورة، ومنها المقطوعة التالية للشاعر نصر الله مرداني:

«آرش الربيع»

حُلَّ رمزُ طلسم شياطين الدهر المقفل
وحطَّم «تهمتن» بابَ القلعة الموصد
قل انّ «جيو» زمانه وبطل التاريخ
دحرَ صفوفَ جيش العدو في المعركة
تحطم الغرور المتمرد لـ«اسفنديار» ذي
الجسم الخارصيني بسهم «دستان» الخبير
ضجيجُ سجناء قلعة الألم
حطّمَ صمت رجال هذه الديار الثقيل
استولى المنجي الموعود على خندق ابليس
بعد أن دمَّرَ سيلُ الغضب سدَّ الصبر
وبشَّر المطرُ الترات الظامئ ثانيةً
بأن «آرش» الربيع حطّم حدود الخريف
ولاح فارسٌ مهيب من بين غبار الطريق
فحطّم القرنين الدمويين لهذا الغول
يا حامل رسالة الفتح في جوقة المنتظرين
حطَّمَ حضورُ ذِكرك جدارَ الانتظار[٣٤]

وكما هو واضح أن مفردات مثل تهمتن، آرش، اسفنديار، الجسم الخارصيني، ودستان، مستقاة من الثقافة الايرانية القديمة. ومفردات نظير: المنجي، الموعود، المنتظرين، مستوحاة من الثقافة الاسلامية.

وفي مقطوعة أخرى تحمل عنوان «ملاحم اليقين» نجد مفردات مثل: الخانات السبعة، البيرق، رستم دستان، وقيام المغول، سبق أن وردت في الشاهنامه للفردوسي. كما أننا نلاحظ في شعر مرداني عناصر وتعابير مثل: كاوه المنتصر، سهراب المدمى، سودابة الزهرة، دم سياوش، جيو، كاوة الربيع، بيجن الندى، منيجة الساحرة، ضحاك العصر، ضحاك الليل، كاوة الشمس، رستم موقظ الروح، شغاد الشرير، جرسيوز، بيران، وحزن سياوش. كذلك نجد في شعره مفردات مستوحاة من دائرة الثقافة الاسلامية نظير: أبي ذر العصر، مريم الكبرى، ايوب الحزين، الحلاج، انشودة نصر الله، الامام الفاتح، صرخة الله اكبر، كربلاء الشهادة، هتاف أنا الحق، كربلاء الدم، خندق الاسلام، هابيل الشمس، قابيل الظلام، وارث الرسول، جيش الاسلام، عليّ فاتح خيبر، الصبح، العصر، وآفاق الشهادة[٣٥].

ومع تنامي عمر الثورة يتنامى حجم التعابير والعناصر الشعرية المستقاة من المعارف والثقافة الاسلامية، ولو أخذنا مقطوعة «القسم» للشاعرة سبيده الكاشاني كنموذج، نجد انها استوحت جميع مفرداتها من دائرة المعارف الاسلامية مثل: قسماً بالفجر، قسماً باسم محمد، قسماً بالعصر، قسماً بسورة الكوثر،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

قسماً بمرقد الحسين، قسماً باسم فاتح خيبر وقبيلة القرآن، قسماً بدم حمزة وأبي ذر، قسماً بالانوار القدسية الخمسة، قسماً بكربلاء الحسين، والسائرين الى النجف.

وفيما يلي نماذج من هذه الاشعار:

قسماً بالفجر، قسماً بطلوع صبيحة الظفر
قسماً بعزم الابطال، بالسالكين في السحر
قسماً باسم محمد (ص)، قسماً بسورة العصر
قسماً بمن تجلى في سورة الكوثر
بمن سُخِّر له الخلق والشمس والضباب
بالأحد الذي لنا أفضل ناصر
بمن يحوّل المتمردين التافهين
باشارة واحدة، الى رماد
بمن، الورد والخضراء والثبات والشجر،
لا تعُطى إلّا بارادته الثمر
بالرعد والبرق، بقوس قزح، بسهم النور
الذي تضعه الملائكة في قوس السحر
بذلك النفس، نفس العاشقين المحاربين للكفر
في تلك اللحظة التي يدركون فيها الخصم الناهب
قسماً بالمرقد السداسي للحسين الشهيد
قسماً بحرمة اسم الرسول العظيم
بتسلق الابطال لجبل الحرية
بدم الشهداء الطاهر، بحمزة وأبي ذر
بمن يعلم السرّ والجهر
قسماً بالاسم الجميل لفاتح خيبر
قسماً بعزمكم يا قبيلة القرآن
يا من جعلتم روحكم في هذه الطريق درعاً
لقد حلَّ موت جيش العدو البغيض
وتصرمت أيام صنمي وكل صنم
وفي هذا اليوم وفي هذا القتال
فاقت ملاحمكم العظيمة التصديق
ربّاه! أنتم أيُّ حبّ تحملون؟
ربّاه! أنتم كيف تقتحمون الخطر!
اقتحمتم السواتر كي يرفرف عند هالة الصباح
طائر السعادة فوقكم بأجنحة الفتح والظفر
تحطَّمَ سورُ الظلام فانظرو الشروق
وطَلَعَ النورُ من كل ساتر وخندق
رافقكم يا جنود جبهة الحق
دعاءُ أمة الاسلام والقائد الأغرّ[٣٦]

ومن ملامح شعر الثورة ايضاً، الالتحام بين الشعر والمفاهيم والقيم الاخلاقية. إذ انطلق شعراء الثورة، رغم عمرهم الفتي، جنباً الى جنب مع الشعب، وضموا أصواتهم الى صوته. فنلاحظ مفاهيم مثل الشهادة، الايثار، مجاهدة الكفر، جهاد الاستكبار، الدفاع عن المظلومين، التحررية، حرمة الانسان، وطلب الحق؛ تتدفق في أشعارهم... وان بروز مثل هذه المفاهيم والقيم، يشير الى أن «أنا» الذاتية التي كانت محور الشعر والشاعرية في مرحلة ما قبل الثورة الاسلامية، أشاح عنها هؤلاء الشعراء وأقبلوا على «أنا» الاجتماعية. ذلك أن شعر الثورة شعر ملتزم. وفي هذا الصدد كتب الدكتور غلام علي حداد عادل مقالاً بعنوان «حديث حول ماهية أدب الثورة الاسلامية»، جاء فيه:

«أدب الثورة الاسلامية، أدب ملتزم، فنحن في أدب الثورة الاسلامية لا نتعامل مع الشاعر أو الكاتب الذي ينشد الجمال من أجل الجمال وميولاته القلبية... ففي ادب الثورة الاسلامية هناك عرفان، ولكن ليس فيه انزواء ودروشة بالمعنى السلبي لهذه الكلمة. ان هذا الأدب يتسم بجغرافية أوسع من حدود ايران»[٣٧].

ومما يجدر ذكره، أن ادب الثورة الاسلامية ذو موقع جماهيري، ويحظى بالرصيد الجماهيري... فعلى الرغم من أن الأدب ـ لاسيما الشعر ـ قد نزع نزعة جماهيرية بعد الحركة الدستورية «المشروطة» وابتعد عن البلاط الى حد كبير؛ غير أن الشعر في عهد الثورة الاسلامية

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

١٤ـ رسالة الحلم وبستان التناسخ، احمد عزيزي.
١٥ـ أخدية المكاشفة، احمد عزيزي.
١٦ـ *اول ليالي الشتاء واطول ليلة في السنة.
١٧ـ حب بلا غروب، قادر طهماسبي.
١٨ـ نار الناي، نصر الله مردانى.
١٩ـ تنفس الصبح، قيصر امين بور.
٢٠ـ الغربة، برويز بيجي حبيب آبادي.
٢١ـ سفر الاحتراق، فاطمة راكعي.
٢٢ـ من واحة النخيل الى الشارع، علي رضا قزوة.
٢٣ـ حُب بلا غروب، قادر طهماسبي.
٢٤ـ رسالة دم الارض، نصر الله مردانى.
٢٥ـ في زقاق الشمس، قيصر امين بور.
٢٦ـ المصدر السابق.
٢٧ـ من واحة النخيل الى الشارع، علي رضا قزوه.
٢٨ـ المصدر السابق.
٢٩ـ المصدر السابق.
٣٠ـ في زقاق الشمس، قيصر امين بور.
٣١ـ المصدر السابق.
٣٢ـ رسالة دم الارض، نصر الله مردانى.
٣٣ـ من واحة النخيل الى الشارع، علي رضا قزوة.
٣٤ـ رسالة دم الارض، نصر الله مردانى.
٣٥ـ رسالة نهضة النور، نصر الله مردانى.
٣٦ـ هُدوء، الورد الاحمر، سپيده كاشاني.
٣٧ـ مجموعة مقالات ندوة دراسة ادب الثورة الاسلامية.
٣٨ـ قدح من ألف، فاطمة الطباطبائي.
٣٩ـ مجموعة مقالات، مصدر سابق.

المراجع والمصادر

١ـ نار الناي، نصر الله مردانى، الطبعة الاولى، مؤسسة اطلاعات، ١٩٩١.

٢ـ آيات العشق، مجموعة شعرية، حرس الثورة، الطبعة الاولى، ١٩٨٩.

٣ـ من الوجود والانشاء، محمد رضا شفيعي كدكني، الطبعة الاولى، دار طوس، ١٩٧٧.

٤ـ عن لسان الورق، محمد رضا شفيعي كدكني، الطبعة الثالثة، دار طوس، ١٩٧٨.

٥ـ من واحة النخيل الى الشارع، علي رضا قزوة، الطبعة الاولى، دار همراه، ١٩٨٠.

٦ـ تاريخ الادب الايراني، ج ١، ذبيح الله صفا، ط ١، دار ابن سينا، ١٩٧٢.

٧ـ تاريخ الادب الايراني، ج ٢، ذبيح الله صفا، ط ٦، دار فردوسي، ١٩٨٤.

٨ـ تنفس الصبح، قيصر امين پور، ط ١، الحوزة الفنية، ١٩٨٤.

٩ـ حالات وكلمات أبي سعيد ابي الخير، مقدمة وتنقيح محمد رضا شفيعي كدكني، دار آگاه، ط ١، ١٩٨٨.

١٠ـ رسالة الحلم وبستان التناسخ، احمد عزيزي، ط ١، دار برگ، ١٩٩٢.

١١ـ رسالة دم الارض، نصر الله مردانى، ط ١، كيهان، ١٩٨٥.

١٢ـ في الساحة الصغيرة للخريف في السجن، مهدي اخوان ثالث، ط ٢، دار طوس، ١٩٧٥.

١٣ـ في زقاق الشمس، قيصر امين پور، ط ١، الحوزة الفنية، ١٩٨٤.

١٤ـ مختارات، علي الموسوي الجرمارودي، دار الثقافة الاسلامية، ١٩٨٩.

١٥ـ الرباعي الحديث، محمد رضا عبد الملكيان، ط ١، دار برگ، ١٩٨٧.

١٦ـ جذر في السحاب، محمد رضا عبد الملكيان، ط ١، دار برگ، ١٩٨٧.

١٧ـ الشتاء، مهدي اخوان ثالث، ط ٤، دار مروارید، ١٩٧٥.

١٨ـ نشيد الوابل، علي الموسوي الجرمارودي، ط ١، دار رواق.

١٩ـ سفر الاحتراق، فاطمة الراكعي، ط ١، مركز رجاء، ١٩٨٣.

٢٠ـ شعر الحرب، دائرة اللاعلام في وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٨٣.

٢١ـ حب بلا غروب، قادر طهماسبي، ط ١، الحوزة الفنية، ١٩٩٦.

٢٢ـ الغربة، پرويز بيجي حبيب آبادي، ط ١، دار امير كبير، ١٩٩٠.

٢٣ـ نهضة النور، نصر الله مردانى، ط ٢، اصدار دائرة الفكر الاسلامي، ١٩٨١.

٢٤ـ أخدية المكاشفة، احمد عزيزي، ط ١، دار الشقائق، ١٩٨٨.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]

٢٥ ـ كنز الكلام، ج ٣، ذبيح الله صفا، ط ٢، اصدار جامعة طهران، ١٩٧٦.

٢٦ ـ مجموعة مقالات ندوة دراسة ادب الثورة الاسلامية، ط ١، دار سمت، ١٩٩٤.

٢٧ ـ منظومة الشهادة، تحت اشراف نصر الله مرداني، ط ١، اصدارات شاهد، ١٩٩٧.

٢٨ ـ نقد وتحليل شعر الدفاع المقدس، ج ١، منوچهر اكبري، اصدارات مؤسسة وثائق الثورة الاسلامية، وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٩٨.

٢٩ ـ الف زهرة حمراء، سبيده الكاشاني، ط ١، الحوزة الفنية، ١٩٩٣.

٣٠ ـ بصوت واحد مع حنجرة اسماعيل، حسن الحسيني، ط ١، الحوزة الفنية، ١٩٨٤.

٣١ ـ قدح من الف: في رحاب عرفان الامام الخميني، فاطمة الطباطبائي، ط ١، اصدارات مؤسسة عروج، ٢٠٠٠.

* * *

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-10-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1422.8.4.2.0]